

المصطلح العربي ... إلى أين؟



أ.د. محمد زكي خضر
العراق

ما في القرآن من كلمات (يعقلون) أو (تعقلون).

ثراء اللغة العربية في توليد المصطلح تمتاز اللغة العربية بميزات عديدة تسهل اشتقاق المصطلحات الجديدة منها ظاهرة النحت التي هي بناء كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر أو من جملة، بحيث تكون الكلمتان أو الكلمات متباينة في المعنى والصورة، وبحيث تكون الكلمة الجديدة آخذة منها جميعاً بعض من اللفظ، بحيث تدل عليها جميعاً في المعنى مثل: "هروول" التي أصلها: هرب وولى، و "بعثر" التي أصلها: بعث وثار، و "دحرج" التي أصلها: دحر فجرى؛ وإن كنا نعتبر اليوم أن هذه ألفاظ معجمية سليمة لا منحوتات. ويشبه ذلك كلمات من أصول أجنبية: الباراسايكولوجي والبارامغناطيسية، ودايامغناطيسية والمتافيزيقية.

كما أن من الوسائل التي مارسها العرب في توليد ألفاظ تستجيب لمتطلبات الحياة المتجددة "المجاز" فقد عرفه العرب بأنه: ما تجاوز معناه الأصلي إلى غيره بقرينة مباشرة أو غير مباشرة تدل على ذلك.

اللغة العربية متميزة في عرافتها وقدراتها الفريدة كلغة "اشتقاقية" من الطراز الأول، ففيها من وسائل "الاشتقاق" والقياس مرونة ومطاوعة وسيطرة على المعاني ما يجعلها من أدق اللغات وأصلحها للتعبير والمفاهيم المختلفة. فرغم استناد الكلمة العربية إلى الجذر الثلاثي الذي يزيد عدده فيها على ٦٠٠٠ جذر وهو عدد قليل، إلا أن هناك ١٥ صيغة للفعل المزيد مثل إستخرج (استفعل) وتبدل (تفعل) وأقام (أفعل) وإنسكب (إنفعل)... ومن كل صيغة من صيغ الفعل هذه يمكن اشتقاق مصادر بأوزان متعددة: فعل، ومفعل، وفعلولة، ومفعولية، ومفعالية، ومفعلية؛ وصفات بأشكال

لا تقتصر المصطلحات على الحقول العلمية والهندسية والتقنية، بل هي تتجاوز ذلك إلى المجالات الاجتماعية والإنسانيات والحياة العامة، في البيت والشارع في اللبس والمأكل والمشرب والتسلية، للكبار والصغار، وفي ألعاب الأطفال والمحال التجارية والمدارس وشتى مناحي الحياة. فالسوق التجارية في العالم أصبح سوقاً واحداً كل ما يُنتج يمكن أن يُسوّق في كل مكان سواء كان المنتج مادياً أو معنوياً. ويعني ذلك أن المصطلح أصبح ضرورة علمية وحياتية لا مناص عنها. كما أنه وسيلة لا بد منها لامتلاك المعرفة والتقنية. فالتأليف والترجمة للكتب العلمية والثقافية والنشرات العلمية والتجارية كلها تحتاج إلى استعمال المصطلحات الجديدة بشكل فوري.

تقدر بعض الدراسات أن ما يتجاوز ٥٠٪ من مفردات لغات البلدان المتقدمة علمياً هو مصطلحات علمية أو حضارية مستجدة؛ والكثير من هذه الألفاظ يستخدم على نطاق عالمي. وهذا التداخل بين المصطلحات بين اللغات ليس جديداً، فاللغة الإنكليزية اقتبست من اللغات الأخرى معظم كلماتها واقتبست من اللغة العربية مئات الكلمات وهناك في القرآن الكريم ألفاظ أعجمية من غير اللغة العربية مثل استبرق، وزنجبيل، وسجيل، وطاغوت، ومشكاة وغيرها. كما استعمل القرآن مصطلحات جديدة مغايرة لما كان مستعملاً في الجاهلية مثل ألفاظ: الإسلام، والقرآن، والإيمان، والجهاد، والحق، والباطل، والصوم، والركوع، والصراط، والطهارة، والقنوت، والعرش.

وفي أثناء النهضة العلمية في العصر العباسي اقتبست مصطلحات من الأمم الأخرى، فمثلاً لفظ (العقل) عند اليونانيين القدماء والذين ترجمت كتبهم هو مغاير لمعناه في القرآن الكريم فإنهم يعنون بالعقل جوهرًا قائمًا بنفسه وليس

متعددة: فعيل، وفعل، وفعل؛ واسم آلة بأوزان متعددة: مفعل، ومفعلة، ومفعال، وفاعول، وفعالة، وفاعولة. وهكذا يمكن اشتقاق أفعال جديدة مثل أكسج (من أكسجين)، وهدرج (من هيدروجين)، وكبرت (من كبريت)، وكهرب (من كهرباء)، وفرمت (من فورمات) وغيرها كثير.

بالإضافة إلى اسم الفاعل، واسم المفعول، واسم الآلة، واسم الهيئة، واسم الزمان، واسم المكان، واسم التفضيل، واسم المهنة، عدا عشرات الأوزان غير المصنفة في اللغة. كما أن تركيب الكلمة العربية من سوابق وجذع ولواحق يجعلها فائقة الإختزال، فكلمة (فسيكفيكهم) لا يمكن ترجمتها إلى لغات أخرى بأقل من ٥ أو ٦ كلمات منفصلة.

المجامع اللغوية العربية وإقرار المصطلحات

كان أول مجمع للغة العربية في العالم العربي مجمع دمشق الذي أسس عام ١٩١٩ تلاه مجمع القاهرة عام ١٩٣٢ ثم المجمع العراقي عام ١٩٤٧ ثم الأردني عام ١٩٧٦.

يقوم كل مجمع على حدة بإقرار المصطلحات لوحده وفي بعض الأحيان يختلف المصطلح بين المجامع (مثال على ذلك الهاتف النقال والهاتف المحمول والجوال والموبايل) رغم وجود إتحاد للمجامع العربية يفترض أن ينسق بينها. ويتسم عمل المجامع في إقرار المصطلحات بالبطء الشديد الذي لا يتناسب مع السرعة الهائلة في توليد المصطلحات الحديثة في العالم.

أيهما أولاً الإستعمال أم الإقرار

إن المتخصصين والعاملين في السوق الصناعية والتجارية بل وحتى الأفراد في مجموعات التواصل الاجتماعي حينما يحتاجون لاستعمال مصطلح أجنبي وما يقابله باللغة العربية لا ينتظرون البطء الشديد الجاري في المجامع اللغوية العربية بل يحدثون مصطلحاتهم الخاصة بهم (مثال على ذلك نشرات الأدوية التي نجدها في علب الأدوية الأجنبية المترجمة للغة العربية أو نشرات الإجهزة الإلكترونية المستوردة)

ومن ثم قد يشيع المصطلح وبعد فترة من الزمن يفرض نفسه في الاستعمال وقد لا يجد المجمعون بدأ من إقراره وحتى لو ابتكروا مصطلحاً آخر مختلفاً فقد لا يلقي القبول كالمصطلح الأول. ومثال ذلك فقد استغرق الاستقرار على لفظ "هاتف" لتنافس، لا لتطمس، لفظ "تليفون" مثلاً قرابة نصف قرن!

المصطلح وأهل الإختصاص

في أثناء قيام فريق عمل دراسة أبحاث حوسبة اللغة العربية ضمن مشاريع اللجنة الأردنية العليا للنهوض باللغة العربية وجد فريق العمل أكثر من ٧٠٠ مصطلح في هذا الحقل الضيق وهي تحتاج إلى إقرار من اللجنة المختصة في مجمع اللغة العربية الأردني. لكن بطء العمل في اللجان المتخصصة يحول دون إقرار السيل الهائل من المصطلحات الواردة من لغات أخرى على مدار الساعة. والجدير بالذكر أن إقرار المصطلحات العلمية المتخصصة يحتاج للتعاون بين المتخصصين في ذلك الحقل مع اللغويين في مجامع اللغة العربية. كما يجب استحضار مجموعة الكلمات المتقاربة المعنى والبت في مصطلحاتها دفعة واحدة. فكلمات متقاربة المعنى دقيقة الإصطلاح مثل (resistance, reluctance, reactance, impedance) يجب البت في مقابلاتها العربية دفعة واحدة والآن تناقشت المصطلحات إن تباعدت فترات إقرارها. إن هذا البطء الشديد في أعمال مجامع اللغة العربية سيؤدي إلى سيل من المفردات الأجنبية غير المنضبطة بالقواعد العربية تستسل إلى التداول نتيجة استعمالها من قبل ذوي العلاقة دون معرفة عميقة باللغة العربية ويلغي إمكانية استحداث المصطلح الأنسب لو رُجع في ذلك إلى المتخصصين باللغة العربية. وواضح أن النقص في توفر المصطلحات العلمية باللغة العربية قد نتج عنه ظاهرة التداخل بين اللغة العربية (وكذلك اللهجات المحلية) مع حشر المصطلحات الأجنبية كما هي بين ثنايا الكلام قد ولّد لغة شائعة بين أساتذة وطلبة الكليات العلمية بشكل مضحك ومؤسف في الوقت نفسه.